

خُطْبَةُ جُمُعَةٍ

قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَهَاجِرَ وَحَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ



أ.د. سليم بن سالم عايد اللقماني



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد.. عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم؛ فهي النجاة في الدنيا والآخرة، والزاد ليوم المعاد. معاشر المسلمين، إن من أعظم القصص التي تخلص معاني الإيمان والتوكل، قصة امرأة عظيمة، ابتليت فأعظمت الابتلاء، وصبرت فأجزل الله لها العطاء، إنها السيدة "هاجر" أم إسماعيل عليهما السلام.

لقد أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام أن يأخذ زوجته هاجر وابنها الرضيع إسماعيل، ويضعهم في وادٍ غير ذي زرع، في بقعة معزولة لا ماء فيها ولا شجر ولا بشر؛ إنه ابتلاء عظيم لا تطيقه النفوس، «ثُمَّ قَفَى مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا الْوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ»، وَفِي رِوَايَةٍ فَقَالَتْ: «حَسْبِي»، أَي: يَكْفِينِي، وَفِي رِوَايَةٍ فَقَالَتْ: «رَضِيتُ بِاللَّهِ» رواه البخاري.

الله أكبر! ما أعظم هذا اليقين! وما أشد هذا التوكل! لم تجزع، ولم تعترض، بل استسلمت لأمر الله وربطت مصيرها بحكمته، موقنة أن من يتوكل على الله فهو حسبه.

ورغم توكل الخليل على ربه عز وجل حين وضع ذريته بوادٍ غير ذي زرع فإنه دعا بالدعوات المشهورة ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37]. "جَعَلْتُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلْتُ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، فَأَنْطَلَقْتُ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطْتُ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِي رَفَعْتُ ظَرْفَ دِرْعِيهَا





ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَّ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا». ولما انقطعت الأسباب الدنيوية وتجلت قدرة الله، تفجرت بئر "زمزم" تحت قدمي إسماعيل. لتصبح آية ومعجزة، ولتصبح تلك السيرة العطرة في الطاعة والتوكل شعيرة من شعائر الحج والعمرة إلى يوم القيامة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.





الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: في قصة هاجر وزمزم والمسعى تكريم الله تعالى للمرأة المؤمنة ولو كانت في الأصل أمة؛ فوائدها جليلة ومنافع عظيمة ومنها:

○ أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ذكرنا أن أم أنثى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: 195]. ولن تجد المرأة ربع هذا التكريم ولا عشره في غير الإسلام.

ومن ذلك ياعباد الله:

○ **حسن الظن بالله:** فكل من أطاع الله وتوكل عليه بصدق، فلن يضيعه الله أبداً.

○ **الأخذ بالأسباب:** سعي هاجر بين الصفا والمروة يعلمنا أن التوكل لا يعني التواكل، بل يجب العمل والسعي مع ربط القلب بمسبب الأسباب.

○ **الصبر على البلاء:** ما أعظم الجزاء الذي تناله النفوس الراضية بقضاء الله وقدره.

فلنقتد بهذه الأم الصابرة، ولنجعل التوكل منهج حياتنا في الرخاء والشدة، ولنوقن أن تدبير الله لنا خير من تديرونا لأنفسنا.

عِبَادَ اللَّهِ:

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْخَلْقِ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي قَوْلِهِ الْكَرِيمِ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾، وَقَالَ ﷺ «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا».

